

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## الدرس : 2 - سورة الفتح - تفسير الآية 18

26-02-1996

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، الآية الثامنة عشرة من سورة الفتح، وهي قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18)﴾

[سورة الفتح]

لا شك أن أعظم شيء وصل إليه في الدنيا أن يرضى الله عنك، وهو أعظم شيء على الإطلاق، وهو خير لك من الدنيا وما فيها، لأن الدنيا زائلة، والآخر باقية، ولأن الله سبحانه وتعالى إذا وفقك في الحياة الدنيا فليس في الأرض كلها جهة تستطيع أن تحول بينك وبين هذا التوفيق قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

وإذا حجب الله عن الإنسان التوفيق، لو أن الدنيا كلها معه لا يوفق، فإن يرضى الله عنك خير لك من الدنيا وما فيها، ولا يعرف حقيقة هذا الكلام إلا من اتصل بالله عز وجل، وذاق من طعم قربه عندها يشعر أن طاعة الله هي أتمن شيء يفعلها في الحياة الدنيا.

الثمار؛ أولاً الصحابة الكرام رضي الله عنهم تحقيقاً، وتقريباً، ولكن الناس إذا ذكروا إنساناً فاضلاً أو عالماً جليلاً وقالوا رضي الله عنه فهذا دعاء، وفرق كبير بين أن تقول: رضي الله عنه تحقيقاً، وبين أن تقولها دعاء، فأنت لك أن تقول لإنسان فقير أغناك الله، أما إن رأيت إنساناً غنياً تقول: قد أغناك الله، فأغناك الله التقريري غير أغناك الله الدعائية فنحن إذا ذكرنا إنساناً جليلاً وقلنا رضي الله عنه فهذا رضا دعائي، أما التحقيق فلأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الشيء الثاني ؛ أنني ما دُمتُ قلتُ قبل قليل إنَّ رضاء الله عز وجل أتمنُّ شيء تملكه، فالشيء الذي يُتْلَج الصنْدُر أنَّ هذا الرِّضا سُبُلُهُ مُيسِّرة لك، فسببُهُ الوحيد أن تُطيعه، قال تعالى

**﴿: يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾**

[سورة الأحزاب]

والأدقُّ من ذلك أنَّ بِفِطْرَتِكَ وَجِسْمِكَ السليم، وَجِبَلَّتِكَ في أيِّ لحظةٍ نم حياتك تعلم ما إن كان هذا العمل يُرضي الله أم لا يُرضيه، فإن صدقتَ يرضى الله عنه، وإن كذبتَ يغضبُ عنك، وإن أخلصتَ يرضى الله عنك، وإن خُنتَ لا يرضى عنك، وإن عَشَشتَ الناس لا يرضى الله عنك، وإن استغلَّيتَ ضعف زوجتك، وأنَّ أهلها ليسوا في بلدك، وقسوتَ عليها لا يرضى الله عنك، أنا أوكد لكم أنَّ الواحد مِنَّا من دون أن يقرأ، ومن دون أن يكتُب، ومن دون أن يستمع أودع الله فيه مُفتيا صغيراً، أو جهازاً حساساً جداً، فن حادَّ عن الصَّواب شَعَرَ بالضيق، والبرَّ ما اطمأنتَ إليه النَّفس، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطَّلع عليه الناس ! فالله تعالى قال:

**﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18)﴾**

[سورة الفتح]

في كلِّ مكان وزمان، ونحن اليوم في آخر الزَّمان يُمكن أن نسعى إلى رضاء الله عز وجل عن طريق طاعته، ولكن أنت بحاجة فضلاً عن الفطرة السليمة، أنت بحاجة إلى أن تعرف دقائق الأمر والنهي، فتعلم أحكام الفقه مهمُّ جداً لمن أراد أن يرضى الله عز وجل، فهو تعالى لا يرضى عليك إلا إذا أطعته وفق المنهج الذي أنزله الله على نبيِّه صلى الله عليه وسلم.  
الثمرة ؛ قال تعالى:

**﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18)﴾**

[سورة الفتح]

من لوازم رضاء الله عز وجل أنَّ قلبك مُعمَّم بالسكينة والطمأنينة، والسُرور والسعادة، والثقة والمستقبل، فالؤمن لا يتشائم، ويصدق قوله تعالى:

**﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾**

[سورة التوبة]

والمؤمن لا يَحْقِدُ لأنَّ يدَ الله فوق أيدي الناس جميعاً، والمؤمن لا يستسلم لأنَّ الله تعالى معه، وإذا كان الله معه فَمَنْ عَلَيْهِ، فهذا هو معنى إنزال السَّكِينَةِ على قلوبهم، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ﴾

[سورة الفتح]

عَلِمَ صِدْقَ نِيَّتِهِمْ، وَعَلِمَ صِدْقَ بَيْعَتِهِمْ وَعَلِمَ حُبَّهُمْ وَشُعُورَهُمْ بِالطَّاعَةِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾

[سورة الفتح]

هذا من الداخل، ومن الخارج الفَتْحُ، والفَتْحُ هو مُطْلَقُ التَّوْفِيقِ، فالإنسان قد تُفْتَحُ له التِّجَارَةُ، أو الصِّنَاعَةُ والدَّرَجَاتُ العِلْمِيَّةُ، وتُفْتَحُ مَعْرَكَةٌ يَنْتَصِرُ بِهَا وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، راحةً من الداخل، ونجاحٌ من الخارج، والثَّمَنُ هو الطَّاعَةُ، والطَّاعَةُ ثَمَنُهَا أَنْ تَعْرِفَ الأَمْرَ، وَأَنْ تَعْرِفَ الأَمْرَ، وَمَنْ عَرَفَ الأَمْرَ والأَمْرَ تَفَانَى فِي طَاعَةِ الأَمْرِ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الأَمْرَ وَعَرَفَ الأَمْرَ تَفَنَّ بِالْتَّفَلُّتِ مِنْ هَذِهِ الطَّاعَةِ بِأَسَالِيبِ شَتَّى، إِذَا رِضَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَثْمَنُ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ أَثْمَنُ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

في الآخرة هناك جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ، وَهناك حُورٌ عِينٌ وَوِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ، وَهناك نَظَرَةٌ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الكَرِيمِ، وَهناك رِضْوَانُ نَمِ اللَّهُ أَكْبَرَ كَمَا قَالَ تَعَالَى، فَكَأُذُ نَصِلَ إِلَى أَنَّ رِضْوَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا، وَأَعْظَمُ شَيْءٍ فِي الْآخِرَةِ، وَالشَّيْءُ المُفْرَحُ أَنَّ هَذَا الرِّضْوَانَ تَمَلِّكَ أَسْبَابُهُ، أَلَا تَمَلِّكَ أَنْ تَكُونَ صَادِقًا؟ أَوْ مُتَوَكِّلًا؟ أَوْ نَظِيفًا؟ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ، وَقَفَّ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ، وَهناك اثنتا عشرة خِصْلَةً يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُنْتَ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أيها الإخوة الكرام، أَعْقَلُ العُقَلَاءِ الَّذِي سَعَى إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَحْمَقُ الحَمَقَى الَّذِي اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَنَسِيَ الْآخِرَةَ، وَالدُّنْيَا سَاعَةٌ تَمْضِي سَرِيعًا، وَيَبْقَى العَذَابُ، فَحَنِّ الأَنَ فِي رَمَضَانَ، البَارِحَةَ فَقَطْ بَدَأَ، وَحَنِّ اليَوْمِ فِي اليَوْمِ الثَّامِنِ وَالعِشْرِينَ، فَالَّذِي صَامَهُ وَقَامَهُ، وَضَبَطَ لِسَانَهُ انْتَهَى التَّعَبَ وَبَقِيَ الثَّوَابُ، وَالَّذِي أَفْطَرَ، وَسَهَرَ سَهْرَاتٍ لَا تُرْضِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ انْتَهَى السَّهْرَ وَرَمَضَانَ وَبَقِيَ العِقَابُ، لِذَا القِصِيَّةُ دَقِيقَةٌ جَدًّا؛ رِضْوَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُيسِّرٌ لِكُلِّ إنْسَانٍ، وَهُوَ أَثْمَنُ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ أَثْمَنُ شَيْءٍ فِي الْآخِرَةِ، وَأَتَنَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ تَجِدَ اللَّهُ مَعَكَ، وَإِذَا وَجَدْتَهُ مَا فَاتَكَ شَيْءٌ، وَإِنْ فَاتَكَ رَبُّكَ مَا وَجَدْتَ شَيْءٌ، وَمَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يَخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَتْ مَرُوءَتُهُ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ، وَوَجِبَتْ أَخُوَّتُهُ، وَحُرِّمَتْ غَيْبَتُهُ.

وما دام الصَّحَابَةُ الكَرَامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَهُمْ عَلَى غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ؟ فَأَيُّهُ قِصَّةٌ لَا تَنْبُونَا بِطُهْرِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَصِدْقِهِمْ وَصِدْقِهِمْ وَعَقْبَتِهِمْ، هِيَ قِصَّةٌ مَكْذُوبَةٌ، وَمَنْ هُنَا قَالَ عَلَيْهِمْ

الصلاة والسلام: إذا ذُكر أصحابي فأُمسِكوا... " فشهادة الله أقوى من شهادة العالمين، فالذي يُشكك في أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كاذب منافق، وهو يُكذِّب هذه الآية، ألم يُبايعوا النبي عليه الصلاة والسلام تحت الشجرة واحدًا واحدًا؟ بدءًا من الصديق وانتهاءً بأخِرِ صحابيٍّ، فمن ردَّ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم فهو كذّاب، ومن كذّب آيةً فقد كفر، وأصحابي لو تركوا العُشْرَ لهلكوا... " لأنّ فيهم النبي صلى الله عليه وسلّم فالإنسان قبل أن يخوض في القرآن الكريم، وقبل أن يتكلّم عليه أن يحسب الحساب الكبير، ونحن نُحبُّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ونُتأسّى بهم.

والشيء الثاني؛ أليس بين المسلمين قواسم مُشتركة؟ نعم، هناك آلاف القواسم المشتركة، أفلا يستطيع الدعاة إلى الله أن يبقوا في المُتَّفِقِ عليه؟ يستطيعون بالتأكيد، ونحن إذا بقينا على الكتاب والسنة اتَّحدنا ولن نختلف وبذلك نفو، ونتعاون، وما من هدف يُتْلَجُ صدرُ أعدائنا إلا تفرَّق المسلمون، لذا ندعو إلى وحدة المسلمين في المشارق والمغرب، فهؤلاء الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله أليسوا مؤمنين؟ قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159) ﴾

[سورة الأنعام]

والخوض في ما حصل بين الصحابة ليس من شغلك، فجزءٌ من عقيدتك أن تضبط لسانك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: إنَّ الله اختارني واختار لي أصحابي...".